عدوان على مصر !

للأستاذ على الطنطاوى

[جل الأمر عن المجاملة والهزل ، فدعونا نتكلم بصراحة وجد . .]

يعرض فى مصر الآن فلم اسمه (لبنانى فى الجامعة) ، تظهر فيه الجامعة أولا ببنائها وقبتها حتى لا يبقى عند أحد شك أنها الجامعة المصرية ، جامعة فؤاد الأول التى فى الجيزة ، وأن الذى يأتى من الوصف إنما هو لها ، هى ، بعينها وأذنها لا لجامعة غيرها وأنها ليست قصة جامعة خيالية ، حتى إذا وثق صاحب الفلم من أنك عرفتها وحققتها ، ساق لك مشاهدها ، وعرض عليك صورها ، فلم تر فيها مظهر علم ، ولا دلائل تهذيب ، لم تر إلا الاختلاط الشائن واللهو المحرم ، والغرام والغناء ، كأن هذا كل ما فى الجامعة ، وكأنها أنشئت لمثله : يجيئها الطالب اللبنانى فيستقبله طالب مصرى ، يأبى واضع الفلم إلا أن يجعله مغفلا كأنه ثالث المضحكين لوريل وهاردى ، وأن يسميه (سونه) ... فلا يمر على التقائه به ثلاث دقائق فقط حتى يعرف به الطلاب فيهتفوا له ، ويقودوه رأساً لا إلى بهو المحاضرات ولا إلى المكتبة ، بل إلى البركة ، مع أنه جاء فى وقت الدرس لا فى وقت اللعب فترى فى بركة الجامعة الطلاب والطالبات بالأجساد العارية ، والبورات البادية ، ثم تبصرهم يعمدون إلى طالبة لابسة ثيابها الكاملة فيحملونها فيلقونها فى الماء ، فإذا خرجت كالقطة المبللة حفوا بها ضاحكين عابثين ، وتمضى المشاهد على هذا النمط لا تظهر غرفة الدرس إلا مرة واحدة ، يدخلها عم الطالب اللبنانى وهو فى الرواية (المضحك) المعروف بشارة واكيم فيقطع على الأستاذ محاضرته ، ويفسد عليه درسه ، ويسخر منه ، ويستخرج ابن أخيه بلا إذن ، لأن عاشقته ... تطلبه ...

ويعرض (الفلم) بيت الطلبة الذى أنشأته الحكومة المصرية بأموالها لإيواء الغرباء من الطلاب ، فاطمأن بذلك آباؤهم فى الشام والعراق والحجاز ونجد والمغرب واليمن ، لأنهم غدوا فيه بأمانة هذه الحكومة فما يخشى المرض على أجسامهم ، ولا الفساد على أخلاقهم ، فلا يجعل بيت الطلبة إلا (ماخورا) فظيعاً ... وترى اللبنانى يدخله فيسقط فى حفرة كان إخوانه احتفروها له ، فينزلون عليه بجماعتهم فينضون عنه ثيابه كلها إلا ما يستر العورة الكبرى ولا يكاد ، وتجىء طالبة ، طالبة فى بيت الطلبة — هل تسمعون أيها القراء ؟ تقبل عليه فيستحى هو ويخجل ، ولا تخجل هى ولا ولا تستحى ، وتجره من يده فتلبسه من ثيابها ... فيستفوق الجهل ، ويتأنث الرجل ، ثم يجلسان على مائدة الشراب والنزل ، والطلاب ينظرون ، ولا يكتفى واضع الفلم بهذا كله حتى يجىء بـ (سونه) ، فيقفه عليهما وقفة أبله ، فيقول اللبنانى : هذه خطيبتى فكيف تأخذها منى ؟ ثم يضحك ويولى عنه كأن الأمر لا يعنيه ، وكأن هذا الفلم قد تعمد فيه أن يكون لعنة على الرجولة والشرف ومصر وجامعتها معاً ، وعدوانا على أولئك جميعا ...

وما هذا الذى ذكرت إلا مثالا مما فى هذا (الفلم) فهل يبلغ أعداؤنا منا أكثر من هذا ؟ وماذا يقول الناس غدا عن الجامعة المصرية وعن دار طلبتها إذا عرض هذا (الفلم) فى بلاد العرب ورآه أهلها الذين يعدون مصر كعبة الثقافة ومورد العلوم ؟ هل يرسلون أبناءهم إليها ؟ أم يقولون إن هذه هى حقيقة الجامعة ولولا ذلك ما صورها مصريون فى هذا الفلم المصرى ، ولما سمحت حكومة مصر بعرضه ، ولما سكتت عنه إدارة الجامعة فلم تطلب منعه ، ولم تقاض أهله ، ولم تحرك من أجله ساكنا ؟

وهذا الفلم مثال مما جرنا إليه تركنا ديننا وأخلاقنا ، وتقليدنا الغربيين فى رذائلهم وحدها ، وحسباننا أن هذا هو التمدن وهذى هى الحضارة . وإذا كان هذا الفلم قد سبق الزمان فصور الجامعة بهذه الصورة المزورة ، فإنه سيأتى علينا يوم تكون هذه هى الصورة الحقيقية للجامعة وللمستشفى وللمكتب وللدائرة وللمخزن وللشارع وللغرام ، ويكون كل مكان يلتقى فيه الرجل بالمرأة ملهى من الملاهى ، ولم لا ؟ واللذة مطلوبة ، والرغبة موجودة ، وما ثمة حجاب يمنع العين ، ولا قانون يكف الجوارح ، ولا دين يردع النفس ، ولا

شهـامة تلجم الشهوات ، لم لا ؟ ونار الشهوة الكامنة فى كل نفس ، تؤججها هذه المجلات المصورة ، وهذه الأفلام الداعرة ؟

أوليس من العجيب أنك تدخل فى القاهرة السينما التى تعرض الفلم الإفرنجى فترى له فكرة وموضوعا وهدفا ، وربما رأيت فيها الفلم العلمى أو التاريخى الذى يمر كله فلا تسمع فيه كلمة غرام ، ولا ترى فيه قبلة . وتدخل لترى الأفلام المصرية فتجدها كلها إلا النادر منها ، سخيفة النسج ، مضطربة الموضوع ، عمادها العرى والخلاعة والتخنث ورقص البطن ؟

أوليس أعجب منه أن تكون المجلات الفرنسية أعفّ فى الجملة من مجلاتنا التى لا يخلو أكثرها من صور الأنخاذ والسيقان والبطون والنهود ، تسابقت فى ذلك حتى بلغت الوقاحة ببعضها أن نشرت صور نساء عاريات لا يسترهن قليل ولا كثير ؟

أوليس أعجب من هذا كله ، أنى ذهبت مساء الخميس الماضى إلى مجلس يجتمع فيه عادة فريق من أكابر رجال التأليف والتعليم فى مصر ، فتكلمنا فى هذا الموضوع ، فإذا أكثر الحاضرين بين غافل عن هذا الداء لا يبصره ، أو متهاون به لا يكبره ، أو راض به لا ينكره ، وإذا هم جميعا يتسلّون فى ساعة الخطر ويلهون يوم الجد ، ويردّدون هذه الكلمات الحلوة (حرية الرأى) و (ضرورات الفن) و (مقتضيات العصر) ، والنار مشتعلة فى البلد ؟ !

***

يا أيها السادة المبجلون :

فكروا قليلا فإنكم قادة الرأى فينا ، فلا تكونوا تبعا للعامة من أهل أوربة ، فما يفلح قوم قادتهم تبع للعوام من أعدائهم ، فكروا بعقولكم التى فى رؤوسكم لا بعقول أصحاب الوجوه الشقر ، تروا أن الحريات كلها ، والفنون جميعا ، والحضارة من أساسها ، إنما كانت لتزداد بها الأمم قوة ، والناس إنسانية ؛ فإذا أساء قوم استعمالها وأخذوها من ذنَبها فجاءت فى أيديهم مقلوبة منكّسة حتى تبدل وضعها وضاعت فائدتها ، وصارت للأمة ضعفا لا قوة ، وأعادت الناس إلى البهيمية لم ترتق بهم فى سلّم الإنسانية ، فقد وجب فى شرعة العقل وجوبا درء ضررها ، ودفع أذاها ، وإلا كانت كالسيف يأخذه الأحمق الغرير ، فيجرح به نفسه ، وما كان السيف إلا ليرد به العادى ويذاد به عن الحمى ، وما أظن أن على ظهر الأرض عاقلا واحداً ، يرضى أن يضحى بأخلاق أمته وعفافها ، من أجل مقالة فيها كلام جميل ، أو قصة فيها وصف رائع ، أو صورة فيها فن بارع ، وإن الأمم تعيش من غير أدب مكشوف ، وفن عار ، ولكنها لا تعيش بلا أخلاق .

وأنا أحب الأدب ، وأقدس الحرية ، ولكنى أفضل أن نبقى مقيدة ألسنتنا وأقلامنا بقيد الإسلام والأخلاق ، على أن نهلك ونحن أحرار نقول ما نشاء ، فمن هو الذى يخالف فى هذا من القراء ؟

***

لقد صارت المجلات تخاطب الشهوات بالصور العارية ، بعد أن كانت تخاطب العقول بالعلم الحق ، والقلوب بالأدب السامى ، وهبط الأدباء إلى درك السفلة من القراء بعد أن كان عمل الأديب رفع القراء إلى العلاء ، وانقلبت الجامعات مسرح ظباء وموعد لقاء بعد أن كانت دار العلم والتقى والصلاح ، وغدت السينما عندنا (تهريجا) فاجرا ، بعد أن كانت السينما عند الناس درسا وعبرة وفنا ، وأوشكت هذه (الحرية ...) وهذه (الحضارة ...) أن تكون تعديا لحدود الشرع ، وهدما لأركان الخلق ، ودعوة إلى الفسوق ، لا عمل لها إلا هذا ، ولا ثمرة لها غيره .

أفيرضى عقلاء مصر أن تظل على هذا الطريق ؟

***

يا أهل مصر ! إن هذه المجلات ، وهذه الأفلام ، عدوان على مصر وعلى الفضيلة والمروءة والإسلام ، فإذا أنتم لم تقاطعوها وتقتلوها ، فزقوا كتب الدين والأدب والتاريخ ، لأن كل صفحة منها تمجيد للعرض ، وامتداح للنخوة .

يا أهل مصر !

لقد جرب أجدادنا العمل بالقرآن فكانوا سادة الدنيا كلها ، فجربوا أنتم مخالفته وانظروا ماذا تكونون ! !

القاهرة

على الطنطاوى